صورة المرأة في النمط المثلي السعودي

عصام العصام وعاصم بني عامر
قسم اللغة العربية – جامعة الملك فيصل – المملكة الغربية السعودية.

المُلخّص

تحاول هذا الدراسة أن تتبين صورة المرأة في النمط المثلي السعودي، كما حاكها المجتمع السعودي، لذا تسعى إلى الوقوف على معالم هذه الصورة فنياً، وما رافقها من رؤى إيجابية وسلبية في محاولة لتعليل دلالتها وانعكاساتها على وضعية المرأة، من خلال الكشف عن تأثير الأمثال الشعبية في المجتمع، فالأمثال الشعبية –كما هو معلوم – لا تكشف الخبايا النفسية لكل شعب فحسب، بل هي قوانين اجتماعية شبه ملزمة تسن المعايير التي يخضع لها المجتمع. من هنا اقتضت طبيعة الدراسة أن تنسرب في مسربين فني ومضموني؛ فني يقف على مصادر صورة المرأة، وتكويناتها البنيوية وتشكلاتها الفنية، ومضموني يتتبع مراحل حياة المرأة الفارقة في أخدودها المفصلي في الزواج بوصفه علامة فارقة في حياة المرأة. فأتت صورة المرأة قبل الزواج متمثلة بصورة الفتاة وصورة العانس وغيرها، تبعتها صورة المرأة في مؤسسة الزواج، بوصفها زوجة وأماً، وأخيراً جاءت صورة المرأة بعد فشل تجربة الزواج، فكانت صورة المرأة المطلقة والأرملة.

الكلمات المفتاحية: صورة المرأة، المثل الشعبي المجتمع السعودي, تجربة الزواج, المجتمع.

مُقدّمة

ظلت الثقافة الخاصة (الرسمية) السعودية تنظر إلى الثقافة الشعبية السعودية من أمثال وحكم وخرافات نظر المركز إلى الهامش، مع ما في ذلك من إقصاء وقمع لجانب أساسي ومهم من الثقافة، إلا أن هذه النظرة باتت مرفوضة، حين تعاظم الوعي وتزايد بأهمية الثقافة الشعبية السعودية، لما لها من دور في إغناء الهوية القومية والمحلية، من خلال الانفتاح على الآخر والهامش داخل الثقافة السعودية نفسها بوصفه رافداً أساسياً من روافد الهوية، إضافة إلى ما له من دور فاعل في فهم ذواتنا لما يمتلك من سلطة خارقة. من هنا جاءت هذه الدراسة لتفك عرى التشابك بين ما ترسمه الأمثال الشعبية السعودية للمرأة وما ينبغي أن تكون عليه. وهي إشكالية واجهت الكثير من المصاعب في اقتحامها، لما تنطوي عليه من مخاطر وتظليل، كون الأمثال الشعبية دون باث محدد، وهي في النظام العام للثقافة ليست محصورة في مصدر أو مصادر محددة يمكن الوثوق بها، إضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت مثل هذا الموضوع، بل لا نكاد نجافي الصواب إن قلنا انعدامها، فلم يسعف الجهد في الوقوف إلا على دراسة محمد ألمي، صورة المرأة في الأمثال العامية التونسية، صدرت سنة ٢٠٠٠، وهي تعاين صورة المرأة في الأمثال العامية التونسية.لأجل ذلك كله ولغيره جاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين، تكفل التمهيد بتحديد مصطلحي "الصورة والمثل" وتبيان عظم مهامهما، أما المبحث الأول فوقف على البنية التكوينية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية، في حين رسم المبحث الأخير خط سير السيرة المضمونية للمرأة في الأمثال الشعبية السعودية.

البريد الالكتروني: ealessam@kfu.edu.sa
ردمد: ٦٩٠٥-١٦٥٨

تمهيد

بما أن خطاب الأمثال الشعبية السعودية المختص بالمرأة تعبير عن الواقع في صور متنوعة، كان لا بد من الإجابة عن سؤال مهم ما الصورة؟ تتكشف المعجمات العربية في مادة "صور" عما يدل على الظاهر، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وصفته[١]، أما في المعاجم الغربية فإن المعنى اللغوي للصورة هو "تشكيل هيئات رمزية في مكان محدد"[٢]. أما اصطلاحاً فثمة شبه إجماع على صعوبة تحديد مفهوم جامع مانع للصورة، لأن الصورة متعلقة بجماليات الأدب، ولأن للصورة دلالات متعددة، وترابطات متشابكة وطبيعة مرنة، كما أن ارتباطها بالإبداع أفشل تقنينها لاستلزام نموها وديمومة تغيرها، فهي رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة[٣]، ووسيلة لإيقاظ النفس، وتهييج العاطفة بتجربة شعورية ذات نمط فني إبداعي، يجمع فيها المبدع سواء أكان فرداً أم شعباً – حقائق الكون الخارجية المتعددة فيوحدها، ويعيد خلقها على وفق رؤيا نفسية عميقة تعبر عن منطلق فكري ووجداني، فتفيض بالحياة والحركة عن طريق ألوانها الأسلوبية، وأشكالها الفنية المشخصة بالألفاظ وصياغة العبارات. من هذا المنطلق تكون الصورة النتاج الطبيعي لقصر عمر الإنسان، وفداحة الأمانة التي حملها، وهو ما يرغمه على النظر في كل شيء بعين النسر المحيطة، وعلى الترجمة عن مخاوفه المباشرة بصيحات موجزة، وهذا هو جوهر الفن[٤]. فالإنسان صامت، والصورة تتكلم، إذ من الواضح أن الصورة هي التي تقوى على مجاراة نبضات الطبيعة، فالصورة ليست أداة للمبدع لتصوير العالم، بل هي نفسها العالم، وهو يقدم نفسه في صورة[٥].ولا بد من الإشارة إلى أن الصورة قد تتحقق مستوفية شروط روعتها، وهي تتكئ على الحقيقة دون الخيال، فليست الصورة مرادفة للخيال، فقد نصل إلى الصورة عن غير طريق المجاز، حيث تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير[٦]. "فإذا كان كل مجاز صورة، فليست كل صورة مجازاً، والحقيقة تشاطر المجاز دوره في التعبير الفني والتصوير، وإن القدرة على الإيحاء لا يختص بها المجاز وحده، وصياغة الصورة الحقيقية أعسر من صياغة الصورة الخيالية، لذا عدت الصورة المجازية نمطاً من أنماط الصورة لا نمطها الوحيد، وكل ما في الأمر لا بد من شرط الإيحاء في الصورة"[٧]. من هنا تكون الصورة بناءً ذهنياً يتم على مستوى الذاتية والرمزية والخيال، فالإنسان لا يعي العالم المحيط به وعياً مباشراً من خلال حضور الأشياء بذاتها في العقل، بل يعيها بطريقة غير مباشرة، حيث تتواجد الأشياء في الشعور، عبر صور وكيانات مجازية، تؤطر حياة الفرد وسلوكه في إطار المجتمع، فالمجاز (الصورة) يؤشر نمطاً من التفكير، بل إنه يرمز إلى حقائقنا الواعية واللاواعية، خاصة إذا كان مجازاً شبه مسكوك كما هو الحال في الأمثال، فالمجاز كيفية في التفكير، وكيفية في بناء الحقائق التي نؤمن بها، حيث تبني متشابهات بين طبقات متنوعة من تجاربنا، وتحيل إلى تجربة معينة من خلال تجربة أخرى[٨].

١. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة صور.
2. Encyclopedie universalis. P 452.
٣. سي دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد الجنابي، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢، ٢٣.
٤. عبد الرحمن بدوي، في الشعر الأوروبي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥، ٧٤.
٥. المرجع نفسه، ٧٥.
٦. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ٣٤٢.
٧. علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة النصر، ط٣، ١٩٩٣، ٩٨.
٨. محمد ألمي، صورة المرأة في الأمثال التونسية العامية، تونس،

أما لماذا اتخذت المرأة السعودية موطناً للدراسة؛ فلأن النهوض بأوضاع المرأة لا يكون فقط بالتركيز على العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية، بل العناية بتغيير العقليات (الذهنيات) من خلال العناية بالثقافة الشعبية التي تؤطر تصورات وسلوكيات الفرد السعودي، فخطاب الأمثال في جوهره خطاب ذكوري بامتياز، ينتظمه مبدأ المركزية الذكورية، والمفارقة أن المرأة مسؤولة عن تكريس صورتها السلبية كونها فاعلاً أساسياً في مجال التنمية الاجتماعية، بوصفها الكائن الناطق الأكثر خضوعاً للتقاليد والأعراف والعادات، وبصفة عامة للموروث الثقافي، فالنساء هن اللواتي يستعملن الأمثال أكثر من غيرهن، ويعترفن بشرعيتها، ويعتقدن بملاءمتها للفطرة والطبيعة، ويدافعن عنها، وينقلنها إلى أبنائهن إناثاً وذكوراً بوصفها فاعلاً أساسياً في تنشئتهم، وبذلك تصبح المرأة بسبب استلابها عدواً لذاتها، وشرطاً أساسياً لإعادة إنتاج دونيتها بالنسبة للرجل، فتجد النساء أنفسهن مستلبات استناداً إلى معايير الأيديولوجيا الذكورية التي تأصلت، وبكيفية لا شعورية، جعلتهن يتبنين وجهة نظر الرجال في تقييم تصرفاتهن[١]. أما ما يسوغ لاختيار خطاب الأمثال الشعبية السعودية، ما يملكه هذا الخطاب من خصائص، أبرزها انتشاره السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية لسهولة تمثله واستيعابه، ولبنائه التركيبي، وقدرته التعبيرية التي تجعله يعكس مختلف أنماط السلوك البشري، إضافة إلى استمرارية حضوره وانتقاله من جيل إلى آخر، فضلاً على طبيعته المتميزة بالتكثيف وقدرته المجازية، وانعدام انتمائه إلى زمن محدد مع أنه من الماضي، مما يكسبه سمواً وتأثيراً خطيرين على الذهنيات والسلوكيات، كونه يمثل ذلك الزمن الذهبي النبيل الذي يهتصر حكمة الأجداد، فما زال التراث القديم بأفكاره وتصوراته ومثله موجهاً لسلوك الجماهير في حياتنا اليومية. فالمثل "يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المتطور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"[٢].كما بات من سقط المتاع القول بأن وظيفة التشبيه في الأمثال هي التزيين أو التوضيح، فما الشعب، بوصفه باثاً، طباخ يريد أن يزين ما يظهر كي يلذ للناس التقامه، وما هو بمعلم يفترض في تلاميذه الغباء، فيسعى إلى إيضاح ما لا يحتاج إلى إيضاح، لكن التشبيه يضرب في أعماق الوجود الإنساني، الذي يسعى إلى اقتناص الحقيقة، والمشبه والمشبه به إذا ما كثر اقترانهما وترددهما يدلان على علاقة رمزية أبعد من العلاقة الظاهرة بين الطرفين[٣]، فحين ننظر فيما شبهت به المرأة في الأمثال الشعبية السعودية، نجد تكرار تشبيهها بأوصاف معينة، تكاد تكون محصورة فيها، علاقة سيميائية دالة تؤشر البنية الفكرية لمبدعيها.

يؤكد ذلك ما تعززه المعاجم العربية من دلالة لغوية للمثل الذي أخذ من الجذر (مثل) الذي يتوزع في معاجم اللغة بين المفاهيم التي يختلط فيها المحسوس والمجرد،

---

١. محمد ألمي، صورة المرأة في الأمثال التونسية العامية، ٤٧. ٢٠٠٩، ٤٤.
٢. سيد قطب، التصوير الفني في القران، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، د.ت، ٣٤.
٣. نصرت عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢، ١١٠.

و"التسوية، والمماثلة، والشبه، والنظير، والحديث، والصفة، والخبر، والحدو، والحجة، والند، والعبرة، والآية، والمقدار، والقالب، والوصف والإبانة". ولقد جاء في لسان العرب المثل: الحديث نفسه، والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله (...) وقال الجوهري ومثل الشيء أيضا صفته (...) وقد يكون المثل بمعنى العبرة، ومنه قوله عز وجل "فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين"، فمعنى السلف أنا جعلناهم متقدمين يتعظ بهم الغابرون (...) والمثل ما جعل مثالا مقدارا لغيره يحذى عليه"[١]. بالإضافة إلى دلالات أخرى. أما تعريف المثل اصطلاحا في كتب الأمثال، فهذا السيوطي يعرفه بقوله "جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها"[٢]. ونجد العسكري في كتابه "جمهرة الأمثال" يذكره بقوله: "ولما عرفت العرب الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوا في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها ويسير مؤنتها على المتكلم من كثير عنايتها، وجسيم عائداتها"[٣]. وفي تعريف حديث للمثل تقول نبيلة إبراهيم "هو القول الجاري على ألسنة الشعب والذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي يسمو على أشكال التعبير المألوفة، فالمثل قول موجز أو حكاية رمزية شائعة، يتمثل بها الإنسان في حالة يعيشها، أو موقف يقفه، فيشبه به ضمنيا الحالة التي مر عليها بالحالة التي قيد فيها المثل"[٤] ويذهب مالينوفسكي إلى القول بأنه من الخطأ أن ينظر إلى الأمثال على أنها شكل من أشكال الفلولكور بل هي حكم قصص، وانتقاد لاذع للحياة، وتعبير شعبي يعكس الخلفية التاريخية، وخبرة الإنسان التي اكتسبها من خلال ممارسته للحياة نفسها، ولعل التركيز من أهم السمات الطاغية عليها[٥].

ومن خلال هذه التعاريف يمكننا القول بأن للوسط المثلي الشعبي شواغله وفنونه، يأخذها السلف عن الخلف مشافهة، وبطريقة عفوية خالية من التكلف، ومن خلال المعاملات اليومية وداخل المساكن، وفي الشارع، وفي الأسواق، وعلى أبواب المتاجر وغيرها من مظاهر الحياة اليومية؛ لذا فهو يتمتع بخصائص تنماز به عن سائر أجناس الأدب الأخرى، فإذا جعل الكلام مثلاً "كان أوضح للمنطق، وآلف للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"[٦]، وتراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى أبتذلوه فيما بينهم، وقنعوا به في السراء والضراء، ووصلوا به إلى المطالب العصية، وهو أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو قصر في الجودة[٧]، فلذا يقال "أسير من مثل".

١. ابن منظور، لسان العرب، مادة مثل.
٢. السيوطي، شرح الفصيح، ٣٧.
٣. العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ظ٢، ٧٢.
٤. نبيلة إبراهيم، نقلا عن أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي، المناهج التاريخية والانثروبولوجية، والنفسية والمورفولوجيا، في دراسة الأمثال الشعبية، التراث، الفلكلور، الحكاية الشعبية دار الكتاب الحديث، ٢٠٢٢، ٧٩.
٥. مالينوفسكي، نقلاً عن المرجع نفسه، ٧٩.
٦. ابن المقفع، نقلا عن عبد الرحمن، سلسلة عالم الأمثال الشعبية. ١٧.
٧. الفارابي، نقلاً عن المرجع نفسه، ١٥.

البنية التكوينية لصـــورة المرأة في الأمثال الشـــعبية السعودية:

مصادر صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية:

متحت صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية بنيتها التكوينية من مصادر خاصة متنوعة، أسست لهذه الصورة وأطرتها بإطار أعطاها خصوصية، انمازت بها عن غيرها من الصور في الأقطار العربية الأخرى، وقد انداحت هذه المصادر في البيئة والأسطورة والتجارب والمشاهد الشخصية والثقافة والخيال.

البيئة:

نلحظ تنوعاً في البيئة التي أسست للمثل الشعبي السعودي لسعتها وترامي أطرافها وتنوعها، فمن بيئة صحراوية إلى جبلية إلى بحرية، والبيئة في أبسط مفهوم لها "مجموع الظروف الطبيعية التي تحيط بالإنسان وتؤثر فيه"[١]، أي ما يحيط بالإنسان من عوامل طبيعية ترجع إلى حالة الإقليم الذي يسكنه والعوامل السياسية والاجتماعية التي تؤثر في تفكيره[٢]، وقد كان للبيئة السعودية الأثر الأعمق في رسم صورة المرأة في النمط المثلي السعودي، إذ تعد مصدرا مهما من المصادر التي متحت منها المرأة صورتها في الأمثال الشعبية السعودية. وبما أن أظهر ما في البيئة السعودية، تلك الصحراء القاحلة الجافة، والتضاريس الصعبة التي لا يقوى على قسوتها إلا من امتلك القدرة على تحمل أصعب الظروف، جاءت صورة المرأة في الأمثال مفعمة برائحة تلك الطبيعة القاسية، بدءاً من صورة الغزو ممثلاً بالسلب والنهب، والذي جاء في تلك الصورة التقليدية لذلك التعارك والتطاحن الذي كان مهيمناً على الصحراء "يطعن ويطحن والبنات مخفّرات"[٣]، فالطعن صورة لذلك الاستبسال الرجولي الذي يمارسه الفارس إعلاء لشأنه أمام ملهماته المخفّرات. أما الإبل وهي المكون الرئيسي والبارز في تلك الصحراء، فقد دمغت أمثال المرأة، وكانت مصدراً خصباً فيها، ظهر ذلك في تشبيه المرأة الثرثارة كثيرة الطلبات بصورة التدفق الفموي اللامحدود للإبل، فجاء المثل الشعبي "ثغايه ورغايه"[٤]، فثغاء المرأة، ورغاؤها صورة لتلك الثرثرة التي صاحبت بعض النساء اللواتي تسيطر عليهن كثرة الكلام. أما البيئة الزراعية، فظهرت في أدوات الفلاحة ومتعلقاتها التي صاحبت المرأة، كونها صاحبة الشأن في هذا العمل كما تؤكد المصادر التاريخية، يقول المثل السعودي: "حطب عميا"[٥] في صورة ترسم خرق بعض النساء، فلا يتقن ما يفعلن بل يجعلنه تراكمات من الفوضى.

الأسطورة:

الأسطورة "حكاية ذات أحداث عجيبة خارقة للعادة، أو وقائع تاريخية قامت الذاكرة الجماعية بتغييرها وتحويلها وتزينها، أي إنها رموز لرغبات غريزية وانفعالات نفسية، وقد احتضنت الأسطورة كثيراً من الصور التي رسمتها الأمثال الشعبية السعودية للمرأة. "حجام ساباط إلى ما لقى أحد يحجمه حجم أمه"[٦]، حجام ساباط صورة أسطورية تؤشر ماض اختزنته الذاكرة السعودية وبقي في اللاوعي الجمعي وما زال جاثماً في البنية الفكرية

١. جليلة الماجد، البيئة في القصة السعودية القصيرة، نادي الأحساء الأدبي، ٢٠٠٩، ١٥.
٢. إبراهيم السعافين؛ خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، جامعة القدس المفتوحة، عمان، ١٩٩٧، ٤٤.
٣. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ، ٢١٩.
٤. المرجع نفسه، ٣٣٣.
٥. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩، ٤٠٢.
٦. المرجع نفسه، ٣٩٠.

السعودية، ومثل ذلك جحا تلك الشخصية الأسطورية التي تغنى بها العرب في كثير من نوادرهم وقصصهم وطرائفهم، فنراه يؤشر من يفرط بالغالي والنفيس مقابل الرخيص. بقوله: "جحا يحد أمه بما لا يسوى"[١]، فاختياره لجحا لم يأت عبثاً، إنما لما تحمله هذه الأسطورة من قيمة في اللاوعي الجمعي للشعب، تتحول فيها الأم إلى سلعة في نوع من المقايضة، بل والنظر إليها على أنها ورقة رابحة، واقتران الأم بتلك الشخصية، يؤشر النفيس (الأم) والرخيص (جحا) في صورة ضدية تهكمية تبرز فيها المفارقة.

التجارب والمشاهد الشخصية:

جاءت العديد من صور المرأة في الأمثال الشعبية السعودية بفعل مواقف شخصية وتجارب ذاتية، حدثت مع أفراد بعينهم وهو ما سطرته بعض قصص الأمثال، فلا يمكن تجاهل ما وراء قول المثل الشعبي من تجربة شخصية صيغت على شكل قصة ابتعثت هذا المثل، "مراتي ومراته خوات"، ذكروا في أصله أن عبداً لقي آخر، فأخذ يقبله ويرحب بمقدمه ، ويبالغ في الحفاوة به، وسؤاله عن أهله وذويه، ويسأله أحد الحاضرين عن صلته بهذا الشخص الذي بالغ في الترحيب به، فقال العبد إنه قريبي وضغط على كلمة قريبي وحين ألحّ عليه في صلة القربى احتار وقال "مراتي ومراته خوات"[٢] يُضرب لأهمية المصاهرة وللقرابة البعيدة.

الثقافة:

نبعت كثير من صور المرأة في المثل الشعبي السعودي من الموروث الديني والتاريخي الثقافي، فقد تسنم تلك المصادر سنة الرسول الكريم، حيث كان للأحاديث دور واضح في رفد أمثال المرأة، يقول المثل: "المره خلقة عوجا"، وهو مثل مستلهم من الحديث النبوي "خلقت المرأة من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه"[٣]. "النساء حبائل الشيطان"[٤]، "المرأة خلقة عوجه"، "المرأة خلقت من ضلع أعوج"، عن أبي هريرة مرفوعاً "استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء"[٥] ومن ذلك أيضا قول المثل""سكوت البنت رضاها"[٦]، و"إقرار البنت رضاها"، و"السكوت علامة الرضا"، مستل من حديث النبي الشريف "البنت أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها من نفسها، وإذنها صمتها وربما قال وصمتها إقرارها"[٧]، كذلك فيه تناص مع الحديث النبوي القائل "لا تزوج البكر حتى تستأذن وسكوتها رضاها". و"بيت الأناثي مرزوق"[٨]، وهي صورة أخرى للحديث النبوي "من رُزق ابنتين فأدبهما وأحسن تأديبهما كانتا له ستراً من النار".

إضافة إلى ذلك فقد استلهم المثل الشعبي السعودي صوراً أخرى من الثقافة العربية وكرسها في سيرورته، مثل قول المثل: "ابن العم ينزل بنت العم عن الفرس"، فهي

١. السباعي (أحمد)، الأمثال الشعبية في مدن الحجاز، مكتبة تهامة، جدة، ١٩٨١.
٢. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٦٣٤١.
٣. المرجع نفسه، ٧٢٠.
٤. الحافظ العراقي، تخريج أحاديث الأحياء، ٥٥/٣.
٥. متفق عليه.
٦. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٣.
٧. أخرجه مسلم.
٨. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٨٤.

عادة وتقليد عربي يصعب تجاوزه، يسطر سلطة ابن العم على بنت العم وأحقيته في امتلاكها، ومنه أيضا قول المثل "بغيضة وجابت بنت"[١] وهو تقليد عربي سطر كره الفتاة وحب الولد، أما الثقافة المحلية فقد مثلها خير تمثيل "على ما تتبرقع الحولة يعزل القاضي من الدولة"[٢] والتبرقع سمة محلية اتسم بها المجتمع السعودي.

الخيال:

يعد الخيال مصدراً خصباً من المصادر التي أسست لصورة المرأة في النمط المثلي السعودي، وهو "قوة عقلية تجمع بين شتات العناصر"، إذ إن بعض الأمثال كانت نتاج قوة عقلية خلاّقة، استطاعت أن تؤلف بين مجموعة من العناصر اللغوية والفكرية المتفرقة، فخرجت بتوليفة تسطر معنى إنسانياً، يتناسب مع عقلية ونفسية من ألفه، فنجده يرسم صورة للمرأة البارعة الخلاقة قائلاً: "الشاطرة بتغزل برجل حمار"، وهي صورة تكونت بفعل استحداث علاقات جديدة بين المفردات، فقد قدرت العقلية السعودية على توليف العديد من الألفاظ المتباعدة (شاطرة، بتغزل، رجل، حمار) لاستحداث صورة جديدة تؤشر معنى عميقاً، وهي مفردات بينها بون شاسع لكن اللاوعي الجمعي استطاع توليفها بطريقة مستحدثة لا تخلو من المحلية الخلاقة التي قدرت على استخلاص معنى جميل من مفردات متباعدة في الواقع المعيش.

البنية الفنية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية:

تكشف معاينة صورة المرأة إحصائياً عن ترتيب إحصائي سيطر على منظومة الصور المجازية وغير المجازية للمرأة في الأمثال الشعبية السعودية، جاء كما هو مبين في الجدول الآتي:

نسبة الشيوع في الأصناف المجازية في العينة المثلية:

الرقم	الأصناف المجازية	عدد مرات كل صنف مجازي وغير مجازي	نسبة الشيوع
١	المجاز العقلي	٥٠	%١٦,٤٤
٢	المجاز المرسل	١٠	%٣,٢٨
٣	الاستعارة	٥٦	%١٨,٤٢
٤	التشبيه	٦٨	%٢٢,٣٦
٥	الكناية	٧٢	%٢٣,٦٨
٦	صور غير مجازية	٤٨	%١٥,٧٨
المجموع		**٣٠٤**	**%١٠٠**

الحديث عن المجاز حديث عن شطر كبير من الصورة[٣]، وقد أظهر الاستقراء البياني الإحصائي أن عدد الأمثال الشعبية السعودية المتعلقة بالمرأة بلغت مئتين ومثلا (٢٠١)، كما بلغت الأصناف المجازية في هذه الأمثال (٣٠٤) أصناف، وقد ترتد مضاعفة الأصناف المجازية على عدد الأمثال إلى طبيعة الحياة السعودية التي بدأت تأخذ طابعاً حداثياً يميل إلى التعقيد والغموض، مما يتطلب عقلية مركبة تلتمس فك غموضها وتعقيدها،

١. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٧٣.
٢. حسين محضر، الأمثال العامية في مكة المكرمة، نادي مكة الأدبي، دت، ١١٥.
٣. منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٢، ١٠١.

يؤكد ذلك ما جاء في تعريف البيان من أنه "العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرائق متعددة"[١]، مما يبعث على الحاجة إلى عقلية مركبة، وهو ما تؤكده فلسفة البيان كونه وسيلة لتوليد الأفكار الجديدة، إذ إن العصر الحديث تميز باللهاث وراء كل مستحدث جديد، إضافة إلى أن تعقد الحياة أصبح بحاجة إلى تحليل وتوضيح ليتيسر فهمه، وهو الدور الثاني الذي يضطلع به البيان لكي يكتسب الكلام وضوحا وجاذبية.ناهيك عن أن من وظائف البيان تقديم نوع من البراهين والأدلة التي تلقى قبولا عاما، ولا سيما عند أولئك الذين يعتمدون على مشاعرهم، إذ يختزل في عدم الوثوق بالبعد المعرفي في هذا العصر، وهو ما يفسر طغيان الأصناف البيانية على أمثال المرأة.وإذا كنا نؤمن أن التقديم والتأخير محكوم بالأهمية[٢]، كان ورود نسبة شيوع هذه الأصناف في الجداول الإحصائية مؤشرا دالا على بنية عميقة تحكم انخفاض نسبة شيوع هذه الأصناف المجازية وارتفاعها.

ورد صنف (الاستعارة) بنسبة (١٨,٤٢%)، وتعليل ذلك في ظني نابع من أن طبيعة البيئة السعودية لا تخلو من التعقيد والتشابك، كون الاستعارة تزدهر في البيئات المعقدة، والظروف الغامضة الملتوية التي تحتاج إلى إعمال ذهن وكد قريحة، وثمة تعليل آخر لارتفاع نسبة شيوع الاستعارة، هو أن الاستعارة تعطي الكثير من المعاني باليسر من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدداً من الدرر[٣]، والعصر الحديث هو عصر السرعة والإيجاز والاقتضاب، ولا وقت للإطناب والإسهاب في سائر المجالات.ويبدو أن النفوس لم يعد يؤثر فيها وصف الأشياء كما هي حقيقة؛ لانعدام المبالاة، ولكثرة المعاناة أصيب الناس بشيء من ضعف الإحساس وتبلده، مما اقتضى بعث الحياة من جديد عن طريق خلع الحياة على ما لا حياة فيه، بتجسيد المعنويات، وتشخيص المجردات، وبعث الحياة في الجمادات، فاحتاج الأمر إلى المبالغة في إبراز المعنى وإظهاره بصورة حركية وهو ما ترمي إليه الاستعارة. فالاستعارة "تسمو إلى مدا رج العلو البلاغي، فتصور المعاني تصويراً قوياً مجسماً يشاهده الإنسان ويلمسه، فتؤثر في السامعين وتستولي على عواطفهم وتحرك مشاعرهم"[٤]. وتبرز البيان في صورة "مستجدة... وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد"[٥] فهي وسيلة كشف وابتداع واستحداث، وليس هناك عصر بقادر على الاستغناء عن هذه المقومات إنما تتفاوت في دورانها من عصر لآخر حسب ظروف تعقده وتشابكه. لذا جاءت مرتفعة في أمثال المرأة في المجتمع السعودي كونه بدأ يخطو نحو الحداثة.

يتكشف اكتناه البنية التحتية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية عن هيمنة واضحة للتشبيه على سائر العناصر البنائية الأخرى، والأمر يعود في ظني إلى أن المثل في أساسه محكوم المشابهة، لذا ورد التشبيه بنسبة (٢٢,٣٦%)، وهو ما يؤكد أن التشبيه يقوم على البيان والوضوح، فالمشبه به يسهم في توضيح المشبه، وطبع

١. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٠، ٢٢.
٢. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ط١٦، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٢، ١٨٤.
٣. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط٣، مطبعة عيسى الباب الحلبي، ١٩٩٣، ٣٣.
٤. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، ١٨٧.
٥. المرجع نفسه، ٣٢.

"النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، والتدليل عليه وأن تردها في الشيء إلى شيء آخر، هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر"(١)، وليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كالتعيين.وحين نتقدم خطوة أخرى إلى الأمام نلحظ زيادة نسبة شيوع المجاز العقلي إلى (١٦,٤٤%) في أمثال المرأة مما يظهر حرص مبدعي المثل على إسناد الأفعال إلى غير فاعلها الحقيقي، انطلاقا من سعة مداركهم، وتوسعهم في اللغة.

وقد بلغت نسبة شيوع الكناية في أمثال صورة المرأة (٢٣,٦٨%) وهي نسبة مرتفعة ولعل الأمر يعود إلى أن الكناية تحمل في ثناياها شاهدها ودليلها، وما هو علم على وجودها، وهذا أرسخ من إثبات المعنى نفسه، وهو ما يتطلبه العصر الحديث بسبب طغيان المنطقية والعقلانية، إضافة إلى أن الروابط بين أبنائه لا تمكُن إلا بالمواثيق والدلائل، على العكس مما كان سائدا قديما، إذ كانت الكلمة ميثاقا حتى لو أودت بحياة قائلها.

وفي الوقت نفسه دفع تأصيل البعد الحضاري، وزيادة التقدم والرقي في العصر الحديث إلى تراكمات في فن الذوق أو (الإتيكيت) بين الناس، وهو ما أسهم في زيادة نسبة الشيوع، إذ إن من الأهداف البلاغية للكناية "التعبير عن المعاني المستحسنة بألفاظ لا تعافها الأذواق ولا تمجها الآذان"(٢).

والكناية تجسم المعاني فتضعها في صورة حسية ملموسة فتظهر ما خفي ودق، وما عجز القارئ عن رؤيته، كذلك تعطي المعنى مصحوباً بالبرهان، فيكون ذلك تثبيتاً له في الذهن وتأكيداً(٣). واللافت هو تدني نسبة شيوع المجاز المرسل، فجاء بنسبة (٣,٢٨%) على الرغم مما يوفره المجاز المرسل من حرية واسعة أمام مبدعه في التحليق بخياله وخيال المتلقي، وما يسمح به من إطلاق لعنان الفكر، والظن في تفسير هذا الانخفاض أن أمثال المرأة السعودية لم تجئ بدافع تزييني بقدر ما هدفت إلى تصوير مضامين وأفكار، خاصة حين نعلم أن المجاز المرسل يضفي على المعنى حسناً وبهاءً من خلال تأكيد المعنى وتقريره في النفس، لأنه كدعوى الشيء بالبينة، وتصويره المعنى خير تصوير وأجمله، وذلك بالإيجاز في العبارة(٤).

أنماط صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية

الصورة ذهنية تعتمد في تخلقها على فكرة طازجة، قد يكون مصدرها الوجود الخارجي، ثم تتحول من وجودها الخارجي المادي إلى تنسيق من داخل الشعب المبدع الذي يخلع عليها من روحه وإحساسه، حتى تتجلى كياناً ناطقاً بما اعتمل في ذهنه ووجدانه، فكانت الصورة وفقاً لذلك حسية نفسية. تقرت الدراسة لتقري صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية المعاصرة بجملة من الضوابط أو الأشكال لتكشف عن أنماط هذه الصورة وبواعثها النفسية. كثيرة هي أنماط الصورة إن نحن تتبعنا حصرها من فلسفات تقسيم النقاد لها، لكن دراسة صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية هو من فرض التنوع التي هي عليه، فالنص المثلي هو الوحيد القادر

١. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، ٧٤.
٢. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، ٥٥.
٣. المرجع نفسه،٢٢١.
٤. المرجع نفسه،٢٤٥.

على فرز الصورة التي يمكن أن يُدرس عليها، فخلق مناهج تفسيره وتحليله وتأويله فنطقت بتشكلات صوره.

الصورة الحسية:

لن تقف الدراسة عند الصور الحسية التي ترصد الواقع الخارجي للمرأة في مظهره السطحي في المثل الشعبي السعودي رصد محاكاة، بل ستتجاوزه إلى ما خلف الحس من عوالم كما جاء في الصورة البصرية.

الصورة بصرية:

حاسة البصر من أقوى الحواس في الإنسان حفظاً للمشهد العيني، فالعين هي مخزن الرؤية الذي يفضي إلى الإحساس النفسي بالجمال والقبح، وليس الإبصار المادي بالعين الباصرة وحده منبع الإحساس، بل إن عين البصيرة والخيال ترقى بالتصوير البصري من البصر إلى الرؤية بعين الخيال[١]، وقد جاءت صورة المرأة البصرية في النمط المثلي السعودي لونية وضوئية. يعد التشكيل باللون من خلال الصور البصرية، من أهم ما رسم به المثل الشعبي السعودي صورة المرأة، إذ لم يكن اللون من أجل الزخرفة والتلوين الشكلي، فقد كانت الألوان صورة نفسية فنية، تكشف عما يقف خلفها من عوالم نفسية محجوبة، أي مناطق خفية في نفس باثها، مما كتب لها الخلود الفني تراثاً ومعاصرة. فقول المثل على لسان المرأة: "لا تعايرني يا أبو أولادي أنت الأسود وأنا الرمادي"[٢]. صورة لتلك القتامة الخبيئة وراء نفس أهلكتها الإهانة. ما يكشف عن صورة بصرية لونية وتشخيصية، تعكس حالة نفسية تتجاوز ظاهر اللون، تخفي خلفها حالة من التوتر والشجن، وقد لاحظ علماء الألوان في تقديمهم تفسيراً نفسياً جمالياً للألوان، أن كل لونين من الألوان المتجاورة مثل (الأسود، الرمادي) يوجد بينهما توافق وانسجام، على أن يكون اللون التالي قاتماً عن اللون الذي يعلوه مباشرة، وهو ما حدث في المثل الشعبي السابق، وظفت المرأة اللون بما خلعت عليها من مشاعرها القلقة، فربطته ربطاً رمزياً، بوصفه رمزاً من رموز القلق والحزن، يحاكي سوداوية مشاعرها في فكرة التساوي في الفعل، وبالتالي في الذنب.

كذلك مثل (الضوء واللون) في الأمثال الشعبية السعودية ثنائية تخلع على المرأة نوعاً من الإبهار البصري، بشقيه الإيجابي والسلبي، "الخنفسانة شافت ولدها على الحيط، قالت يا عزي لولو الخيط"[٣] ففي صورة تحشد بين المتناقضين (البياض والسواد) مزج المثل الشعبي السعودي بينهما لإنتاج دلالة منفرة، أتى فيها الضوء بوصفه لوناً مشرقاً (بياض اللؤلؤ) في مقابل اللون المعتم (الأسود، الخنفسانة)، فبين ثنائية (الضوء/الظلمة) وسيلة لتشكيل صورة بصرية ضوئية، غالباً ما تعكس إشراق النفس التي تضيء قبالة من يستكشف فيها حقيقة واقعه السلبي الذي يعيش حيث إن المرأة لا تعيب وليدها وتراه رؤية مغايرة لواقعه الحقيقي.

الصورة سمعية:

أتت في النمط المثلي السعودي المختص بالمرأة من استقبال المتلقي لها وتحويلها إلى صورة نطقية، أي أن السامع متكلم بالقوة، إذا هو امتلك ما قد حوله المتكلم إلى أحداث نطقية"[٤]. يقول المثل "بخت أمها تصره في كمها"[٥]. لقد صور المثل صوت الصر يتجاوب في

١. حافظ المغربي، الصورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٩، ١١٠-١١١.
٢. حسين محضر، الأمثال العامية في مكة، ١٢٧.
٣. حسين محضر، الأمثال العامية في مكة، ٧٠.
٤. كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، ١٤.
٥. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٥٠.

إيقاع شجي يتكرر عبر صوت الكم الذي تكرر في تكرار حرف الراء الذي سماه علماء الأصوات حرف شدة، وهو ما يمكّن متانة العروة بين الأم والبنت حتى لو تغاير الزمان.

الصورة اللمسية:

تعد حاسة اللمس من الحواس المتميزة الموكلة بتحديد قيمة الواقع الحسي للأشياء، وتأتى عن طريق الجلد من حيث البرودة والسخونة، أو اللين والخشونة، أو الألم واللذة. ومن ذلك قول المثل: "هي بنت أو راجع؟ قال بين يديك يا خاطب"[١]. جاءت هذه الصورة اللمسية بنوع من التندر الجنسي، فلم تكن صورة جنسية مكشوفة، إنما عبر عنها بلازمة أو قرينة تؤشر المعاينة للتأكد من صدق التجربة، وكذلك من الصور اللمسية قول المثل "ما يحك شعري إلا ظفري"[٢]، فالحك يأتي عن طريق اللمس وهو صورة لذلك الاعتماد على النفس في متطلباتها.

الصورة الذوقية:

تعد حاسة الذوق من أقدر الحواس تعبيراً عن مدى تمتع الإنسان بالصحة أو مجافاتها، ويمكن أن يكشف عن مزاجه، وحالته النفسية، فهي التي تميز حلاوة الشيء من مرارته، وقد استلهم المثل الشعبي السعودي المختص بالمرأة هذه الأشياء، وحولها بفيض من روحه، بما يسمو عن المذاق لما يطعم أو يشرب حسياً باللسان إلى آفاق من التعبير عن حالات نفسية. إضافة إلى اتباع ذلك بضرورة الذوق لأجل المعرفة، فمن لم يذق لم يعرف، يؤكده الشاعر بقوله:

لو كلت ألفي رطل خمر لم تكن نشوان إن لم تشرب[٣]

ومما يعضد طفو هذه الصورة على السطح قول المثل: "اللي يستحي من بنت عمه ما يجيب ولاد"[٤]، فمن لم يمارس العملية الجنسية لا يمكن له أن يدعي معرفتها، فالأولاد نتاج هذا الذوق الفعلي.

الصورة العقلية:

وهي صور تنحى منحى مغايراً للصورة الحسية من حيث عنايتها بالجانب الذهني، فتعتمد على الحجج والبراهين والأقيسة التي تخاطب العقل أكثر من خطابها للوجدان، أي الصورة التي يتجه فيها الخيال إلى مدارك العقل الذهنية، فيكون الخيال خاضعاً لقوة العقل، بعيداً عن منطقية الشعور والأحاسيس، وإن تعلقت الصورة العقلية بالعاطفة، فإنها العاطفة التي تحقق الوحدة العضوية، نجد فيها مسارب العقل إلى احتضانها الدقيق[٥]."إذا أردت أن لا تزوج ابنتك فغّل مهرها"[٦]. وتسلسل المثل في طرح مقدمات، أفضت إلى نتائج منطقية، فمن غالى في مهر ابنته (مقدمة) لن يزوجها (نتيجة).

الصورة القصصية:

عرف المثل الشعبي السعودي المختص بالمرأة الصورة القصصية، أي تلك الأمثال التي تتخذ من عناصر القص وسيلة إلى الوصول إلى مبتغاها، فهي صورة مستلهمة من القص تارة، ومن الحوار تارة أخرى، امتد المثل من خلالهما إلى المتلقي باثاً التجربة النفسية والجمالية،

١. المرجع نفسه، ٣، ٩٥٢.
٢. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٣، ١٢٧٧.
٣. نقلا عن ذاكرة الباحث.
٤. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٦٥٧.
٥. أحمد عبد الحميد إسماعيل، مقومات الصورة في الشعر مملكة غرناطة، مخطوط دكتوراة بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ١٩٩٦، ٨٤.
٦. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٣٤٥.

فالصورة القصصية في المثل السابق قائمة على أسلوب السرد والحوار، الذي يوحي بتعدد الأصوات في نسيج الصورة، كما يلقي بعض الأفكار في حيادية تامة، وهذه الأفكار تشف بدورها عن شخصية مبدعها[١]. قال: بنت المؤذن من يأخذها، قال يؤخذها مؤذن مثله"[٢]، ففي هذه الحوارية يتجلى البعد السردي مما يكشف عن شخصيات قصصية وأحداث وزمان ومكان وحل، وهو نمط شاع وانتشر في أمثال المرأة.

الأبعاد المضمونية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية:

شكل الزواج في المنظور الشعبي السعودي علامة فارقة في حياة المرأة، حتى أن مصيرها يتحدد بالقياس إلى محطة الزواج، من هنا ارتأت الدراسة مفصلة الصورة المضمونية للمرأة من خلال وضعها داخل مؤسسة الزواج وخارجها.

صورة المرأة قبل الزواج:

صورة (المرأة / الفتاة):

ترسم الأمثال الشعبية السعودية صورة سلبية، وأخرى إيجابية للفتاة، حيث يبدأ التمييز منذ لحظة الولادة بين الأنثى والذكر، فقد سطر المثل الشعبي ذلك بقوله: "لما قالوا لي ولد اشتد ظهري واستند، ولما قالوا لي بنت انهدت الحيطة علي"[٣]. المولودة غير مرحب بها في المثل الشعبي السعودي، وهي مصدر من مصادر القلق والهم الذي يعتور كل من يبتلى بها. "صوت حية ولا صوت بنية"[٤]. و"موتهن راحة"[٥]. فثمة أمثال تعبر عن رفض الأنثى وتتمنى لها الموت سريعاً قبل أن تكبر، وتلحق العار في الأسرة، فكراهية ولادة الأنثى "صوت حية ولا صوت بنيه". بنية فكرية تغلغلت في النمط المثلي السعودي، يؤكد ذلك المثل بقوله: "الذي تموت بنيته من صفاوة نيته"، و"أمنكم الله عارها، وكفاكم مؤنتها، وصاهرتم قبرها"[٦]. وأكد هذا التمييز بتشديد الرقابة على على المولودة منذ بدأ حركتها "إذا بنتك دبت وحبت اسأل أمها إيش خبت"[٧]، وستظل تؤرق كل من تكفل بمسؤوليتها "هم البنات للممات". انحاز المثل الشعبي السعودي إلى الذكر على حساب الأنثى، لأن صانع المثل في الغالب هم الرجال من الفلاحين، والبدو الذين يفضلون الولد لغايات عدة، منها أن الولد يساعد أباه في العمل ويعينه على قسوة الحياة، فهو أداة الإنتاج الأولى في المجتمع، إضافة لما يتمتع به من صفة الحماية، فهو المدافع الأول عن حمى القبيلة في مجتمع قوانينه الأساسية تعلي من الغزو بل تعده قانون العيش، أما البنت إضافة أنها لا تنتج فإن مصيرها خارج بيت أهلها، فخيرها لزوجها وأهله وعارها على أهلها، فهي أداة ضغط يمكن استغلالها في تصفية الخصم، وإنهائه وإن كان هذا الفهم قد بدأ يخف بسبب اختلاف ظروف الحياة، ودخول المرأة سوق العمل، إلا أن سطوة هذه الأمثال ما زالت ذات فاعلية قصوى، إذ إنها انحدرت من زمن ماض، وظلت محملة بذاكرته، فهي كلشيهات نمطية تحمل عبقها في ثناياها، ولم تتخلص من ماضيها القاسي تجاه الأنثى مع مرور مئات السنين.ومن جهة أخرى ثمة إيجابيات سطرها النمط المثلي السعودي للفتاة

١. أحمد إسماعيل، مقومات الصورة في مملكة غرناطة، ١٩١.
٢. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٩٩٣.
٣. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٧٩.
٤. المرجع نفسه، ٧٩٣.
٥. نقلا عن مدونة في الانترنت بعنوان الأمثال الشعبية السعودية.
٦. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٥٠.
٧. المرجع نفسه١١٥٠.

صغيرة السن، فهي محببة كونها سهلة الانقياد والخضوع لسلطة الرجل "يا ماخذ الصغار يا غالب التجار"، وهي صورة أو مادة خام يمكن أن يشكلها الرجل كما يريد، ومن ثم فهي مصدر خير له. "خذها صغيرة تربيها على إيدك"(١).

صورة (المرأة/العانس):

يطرح المثل السعودي مشكلة العنوسة عند المرأة بشكل كبير، في حين أننا قد لا نجدها تذكر بالنسبة للرجل، حيث تتحول البنت إلى عانس أو بايرة إذا تجاوزت سن الزواج الذي هو سن مبكر في المجتمع السعودي. حيث يقول المثل: "ظل راجل ولا ظل جدار"(٢) بل "الجوز رحمة ولو أنه ما يجيب إلا فحمة"(٣)، ويذكر على سبيل السخرية واليأس "استني يا زريقة حتى يجيكي العريس"(٤)، كون "الخُطّاب ألف والمتجوز واحد"(٥). ومن حظيت بزوج ولو كان بمواصفات متدنية، حازت الخير كله، فـ "زوج من عود خير من قعود"(٦).

فالمكان الطبيعي للفتاة التي بلغت سن الزواج هو بيت زوجها، بل إن بقاءها في بيت أهلها قد يكون مجلبة لما لا تحمد عقباه. "دور لابنتك قبل ما تدور لابنك"(٧)، فينظر إلى البنت التي بلغت سن الزواج كما لو أنها في مأزق ينبغي إخراجها منها.والمرأة الكبيرة في السن غير مرغوب فيها حتى لو كانت ذات امتيازات مادية. "بعد الصبر وطول العزوبة رح اتجوز كركوبة"(٨)، مما يعني أن البنت إذا فاتها ركب الزواج ستقضي بقية حياتها تعاني الحرمان والكبت، "خطبوها تعززت تركوها تندمت"(٩)، مما يخلق فقدان الثقة لديها تجاه كل ما يحيط بها، واتجاه ما يحمله المستقبل. لكن أحياناً أخذ المثل الشعبي السعودي رؤية مغايرة في مسألة العنوسة، حيث فضلها على الزواج الردئ، بقوله: "البنوته ولا الجيزة الردية"(١٠). وتكون العنوسة خير من الزوج الردئ، وقال أيضاً مفضلاً العنوسة على الزواج الفاشل: "جلست الخزانة ولا جواز بمجنانة"(١١)، و"دوري في كل البلاد ولا تأخذي واحد عنده أولاد"(١٢).

صورة المرأة في مؤسسة الزواج:

صورة (المرأة/ الزوجة):

الزواج في بيئة المجتمع السعودي فعل مصيري، تترتب عليه نتائج ستنعكس على كل مجريات حياة الفرد في المستقبل، لذا أصّل المثل الشعبي السعودي في تهيئة قبلية للأخذ بكل الترتيبات اللازمة قبل الإقدام على الزواج، فصورة زوجة المستقبل يجب أن تكون مؤصلة،

١. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١٠٥٠.
٢. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
http://www.borsaat.com/vb/t320896.html.
http://forums.moheet.com/showthread.php?t=75218.
http://women.bo7.net/girls78476.
http://www.الباتيس.com/vb/showthread.php?t=11204.
http://forum.brg8.com/t126640.html
٣. المرجع نفسه.
٤. أخذ مشافهة من مَسن سعودي.
٥. المرجع نفسه.
٦. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٧. أخذ مشافهة من محمد حسين إبراهيم العتيبي سكان الأحساء.
٨. المرجع نفسه.
٩. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
١٠. المرجع نفسه.
١١. أخذ مشافهة من إبراهيم آل مبارك من سكان الأحساء.
١٢. المرجع نفسه.

"على الأصل دور"[١]، لأن الأصل الطيب يفوق جاه المرأة ومالها، بل قد يمتد البحث عن الأصل إلى الأم، لأن "البنت سر أمها"[٢].

والنموذج المثال للزوجة المطلوبة، المرأة الخلوقة المؤدبة المطيعة، فـ "أدب المرأة مذهبها لا ذهبها"[٣]. والخير في أن تكون مرحة تدخل البهجة على نفس زوجها، "اللي مرته مفرفشة يرجع البيت من العشا"[٤]. والغنى ليس محبباً في الزوجة "فيا ماخذ القرد على ماله"[٥] و"يروح المال ويبقى القرد على حاله"؛ لأن الغنى يمكن أن يرجح كفة المرأة في ميزان القوى والسلطة، ويلغي إحدى الآليات التي تؤسس لسلطة الرجل، وهي القوامة.

أما الأمثال التي استلبت الزوجة حقها فكثيرة، إذ المرأة لا يليق لها سوى التدبير المنزلي "المرة لو طلعت المريخ آخرتها للطبيخ"[٦]، وهي ليست محل ثقة كونها هوائية تنجرف وراء عواطفها، "ياويلك إن حبوك ويا ويلك إن كرهوك"[٧]، ولا تؤتمن على سر، "آمن للحية ولا تامن لمرية"[٨]. لذا تكون مداواتها فيما يضعه المثل من علاج "مره ابن مره اللي ما يجيب للمره مره".

ولا يؤخذ لها برأي، فالرجل ابن الرجل، "اللي عمره ما يشاور مره"[٩]، و"اللي يسمع كلام امرأته تكثر نكباته"[١٠]، كما أن المنظور المثلي السعودي يحث على الزواج العشائري، أي يحث على تبادل النساء داخل القبيلة نفسها، وبين أبناء العمومة "ابن العم ينزل بنت عمه عن الفرس"[١١]، وهو زواج يعود بالنفع على الرجل في منطق العصبية في الزواج حتى لو كان على حساب التغاضي عن بعض الشروط والمواصفات الأخرى.

ولم يكتف بتهميش دور المرأة والقفز فوق حقوقها، بل تجاوز ذلك إلى عدم الثقة بها إلى درجة الاعتقاد بأنها قد تمارس الخراب ضد عائلتها بوعي أو دون وعي، وهذه النظرة الاستعلائية من الرجل، قننت حياة المرأة بل كرستها، وهو ما يظهر استسلام المرأة لهذه الدونية، بل استكانت وقبلت بها، وحاولت أن تفرغ جزءاً من نقمتها على بنات جنسها كردة فعل، فبدل أن يتحد المضطهدون في مواجهة الذكورة، نراهن يمعن في امتهان أنفسهن، وأسقطن جزءاً من غضبهن على المرأة نفسها لتكون المرأة تحت مركبات من الاضطهاد.

صورة (المرأة/ الأم):

جاءت صورة الأم في النمط المثلى السعودي مشرقة، "بعد الأم ادفن وطم"، فهي الحانية والرقيقة حين يكون الحديث فيها عن الأم، لكنها تنتقل إلى القسوة والفوقية حين تكون موضوعها المرأة الزوجة، وتصل إلى حد الشعور بالامتعاض والشعور بالذنب حين تتناول الإبنة أو الأخت[١٢]. وغالباً ما تربط البيئة الثقافية المرأة بوظيفة الإنجاب ضمانة للاستمرارية وإعادة إنتاج النوع. من هنا فلا يمكن البقاء في البيت دون أولاد يضمنون لها الاستمرارية والامتداد "العقيمة عديمة"[١٣]. وبما أن المرأة

١. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٢. المرجع نفسه.
٣. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٤. أخذ مشافهة من محمد الملحم من سكان الأحساء.
٥. المرجع نفسه.
٦. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٧. المرجع نفسه.
٨. أُخذ مشافهة من علي المطلق من سكان الأحساء.
٩. المرجع نفسه.
١٠. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
١١. المرجع نفسه.
١٢. هشام عودة، الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، عمان، دار دجلة ناشرون، ٢٠١١، ٨١.
١٣. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.

هي الوسيط الضروري الذي عبره يكتب الرجل تاريخه السلالي النسبي (بالفتح) يمكن القول إن المرأة العاقر كائن بلا قيمة، لا تستطيع الصمود أمام تقلبات الزمن، فالأولاد أوتاد الخيمة، وهم ضمانة لاستمرارها، فاندماج المرأة رهين بالإنجاب لكن ليس أي إنجاب إنما الطفل الذكر "الولد لو قد المفتاح يعبي الدار أفراح"[١].

صورة المرأة بعد انتهاء الزواج

صورة (المرأة/المطلقة):

تتعرض المرأة لتهميش مضاعف في حالة طلاقها، فتبدو وكأنها وصلت إلى نهايتها أو موتها، فهي مجرد جسد يفقد نضارته بفعل الزواج والولادة "إذا حبلت ذبلت"، وتنتهي صلاحيته بمجرد الطلاق. هذا ما يكشف عنه المثل السعودي حين يقول: "لا تاخذ المطلق ولا تسكن في المعلق"[٢]، والطلاق وسيلة للتهديد فـ "التي لا توفي مع عشيرها الطلاق مصيرها"[٣] ولا يخفى تضخم الأنا الذكورية في جعل الرجل مطلوباً لا طالباً، "طليقك لا ترديه".

صورة (المرأة/الأرملة):

تكشف معاينة الأمثال الشعبية السعودية عن صورة سلبية للأرملة تسلبها في كثير من الأحيان إنسانيتها وقيمتها لذاتها "خذ الأرملة واضحك عليها ومن مالها اصرف عليها"[٤]، بل إنها تستلب حتى حق التفكير في انتقاء الزوج بعد وفاة زوجها "جاء للأرملة زوج قالت أعور ما بنفع"[٥]. ومعاناة الأرملة كبيرة بعد وفاة زوجها فـ "التي مات زوجها يا غلبها وعوزها"[٦].

خاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الأمثال الشعبية السعودية المرتبطة بالمرأة تنوعت إلى حد الاختلاف الذي يصل إلى التناقض في مستوى يصعب معه التوفيق بينها، فبقدر ما يوجد أمثال تمجد المرأة وترفع من شأنها، نجد أمثالا أخرى تحط من مكانها وتقلل من قيمتها، حتى إننا نجد أحياناً تعايش النقيضين في مثل واحد، وتعكس هذه الأمثال النظرة المتناقضة التي يحملها المجتمع تجاه المرأة، فهي موضوع للرفعة وللاذلال في الآن نفسه. ومع وجود أمثال تبرز الصورة الإيجابية للمرأة إلا أنها قليلة إذا ما قورنت بالأمثال التي تركز على الصورة السلبية، جاءت هذه الصور بشقيها الإيجابي والسلبي في سائر مراحل عمر المرأة، ومن خلال أوضاعها وأدوارها الاجتماعية المتنوعة قبل الزواج فتاة وعانس، وأثناء الزواج زوجة وأماً، وبعد إنتهاء الزواج مطلقة وأرملة.من هنا توصي الدراسة بإعادة النظر في صورة المرأة في النمط المثلي السعودي، خاصة تلك الصورة المفعمة باليأس، وانعدام الدور، وغلبة الشكوى، وانعدام الحكمة، وهي صور تعكس تصورا غير إسلامي للمرأة، مما يفتح لدراسات تسعى إلى تغيير العقلية التي أفرزت هذه المغالطات، وتؤسس لخطاب مثلي مختلف، يقوم على غرس شجرة حتى في لحظات الموت. كما توصي الدراسة بأن تعمل المرأة على التخلص من الأمثال التي تغمطها حقها، خاصة إذا ما علمنا بأن المرأة هي الكائن الأكثر استعمالا للأمثال وخضوعا لها.

١. المرجع نفسه.
٢. أُخذ مشافهة من محمد علي الصقر من سكان الأحساء.
٣. المرجع نفسه.
٤. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٥. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٦. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.

المصادر والمراجع

١. أكوع (إسماعيل)، الأمثال اليمانية مع مقارنتها بنظائرها من الأمثال الفصحى والأمثال العامية في البلاد العربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.

٢. ألمي (محمد)، صورة المرأة في الأمثال العامية التونسية، تونس، ٢٠١٠.

٣. البستاني (كرم)، البيان، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٦٢.

٤. البلاوي (عاتق)، طرائف وأمثال شعبية من قلب الجزيرة العربية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥.

٥. بلعربي (عائشة)، فتيات وقضايا، نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٠.

٦. بلعربي (عائشة)، نساء قرويات، مؤلف جماعي، نشر الفنك، سلسلة مقاربات، ١٩٦٦.

٧. تيمور (أحمد)، الأمثال العامية، د.ن، د.م، ١٩٤٩.

٨. الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استنبول، ١٩٥٤.

٩. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٣١هـ.

١٠. جسوس (محمد)، سلسلة مقالات حول الثقافة الشعبية، جريدة الإتحاد الاشتراكي، شهر رمضان.

١١. الجمعية الأمريكية لتعليم الكبار، التوجيه التربوي لكبار السن، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

١٢. الجهيمان (عبد الكريم)، الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، دار أشبال العرب، الرياض، ١٩٧٩.

١٣. حسنين (حنان)، الدراما التلفزيونية وكبار السن، سلسلة اتجاهات حديثة في الإعلام، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١١.

١٤. (حسين) عائشة، البيان في ضوء الأساليب العربية، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٠.

١٥. أبو حسين (محمد صبحي)، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٥.

١٦. حسين (سامية)، صورة المرأة في المثل الشعبي، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

١٧. حمصي (سيمون)، ألف وخمس مئة من الحكم والأمثال الشعبية، ط٤، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٤.

١٨. (الحويسكي) زين، أحمد المصري، فنون بلاغية، الإسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٦.

١٩. الحوفي (أحمد)، المرأة في الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت، ١٩٦١.

٢٠. عباس (فضل)، البلاغة فنونها وأفنانها، دار العرفان، عمان، ١٩٨٧.

٢١. عبد المطلب (محمد)، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

٢٢. أبو عميشة (عادل)، قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٧.

٢٣. (العيدة) باسل، مهارات تصميم والبحوث والدراسات العلمية وتحليلها إحصائيا باستخدام برنامج spss، الكويت، مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥.

٢٤. راوي (مسارع)، سيكولوجية الشيخوخة وموقف الإسلام من كبار السن، دار الكتب، بغداد، ١٩٩٩.

٢٥. السباعي (أحمد)، الأمثال الشعبية في مدن الحجاز، مكتبة تهامة، جدة، ١٩٨١.

٢٦. سلامة (ياسر)، موسوعة الأمثال الشعبية، دار صفاء، عمان، ٢٠٠٣.

٢٧. صبحي (عبد المجيد)، سطوة النهار وسحر الليل، الفحولة وما يوازيها في الأدب العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٩.

٢٨. طه (جمانة)، موسوعة الأمثال الشعبية العربية، دراسة تحليلية مقارنة، الدار الوطنية الجديدة، الرياض، ١٩٩٩.

٢٩. عبد العزيز (محمد)، الأمثال مصدر للدراسة التاريخية، قراءة في التاريخ السعودي والتاريخ المصري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩.

٣٠. العبودي (محمد)، الأمثال العامية في نجد، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٩.

٣١. العشيري (نادية)، صورة المرأة بين الأمثال الأندلسية والإسبانية، مجلة مكناسة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ع١٠، ١٩٩٦.

٣٢. (فريد مان) نورمان، ترجمة جابر عصفور، مجلة الأديب العراقية، ع١٦.

٣٣. العلي (فاطمة يوسف)، المرأة في المأثورات الشعبية الكويتية، مجلة لبنان، ع ٣٥٥، فبراير، ٢٠٠٠.

٣٤. عودة (خليل)، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

٣٥. العواودة (أمل)، صورة المرأة في الأدب الأردني والفلسطيني، أمثال أغاني حكايات، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد، ٢٠٠٠.

٣٦. غانم (محمد)، مشكلات كبار السن، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

٣٧. الغذامي (عبد الله)، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥.

٣٨. فرفار (علي)، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٦.

٣٩. القاضي (سعد)، قاموس الأمثال الشعبية العربية والافريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥.

٤٠. كحالة (عمر رضا)، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٨.

٤١. (المسيري) عبد الوهاب، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢,١٩٩٣.

٤٢. المنجد (صلاح الدين)، أمثال المرأة عند العرب، ما قالته المرأة العربية وما قيل فيها، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨١.

٤٣. منصور (عبد الله)، صورة المرأة في شعر عبد الرحيم عمر، دراسة نقدية مقارنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

٤٤. النقلي (محمد)، وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨.

Women Figure at Saudi Proverb

E. M. Al Essam and A. M. A. Bani Amer
Arabic Language Department - King Faisal University - KSA.

Abstract

This study explains women figure at Saudi proverb. The man is considering main productive element at society. This study explains the effect of proverb on society. Proverb is consider as society Law. So this study contain two subjects, technical and substantive. The first one explain sources of the image of women and her structural formations, the second one explain women life especially marriage. The women before marriage considered girl and spinster. Then the women in marriage as a wife and mother. Finally the women after failed marriage as divorced widowed women.

Keywords: Image, Women, Proverb, Popular.

E-mail: ealessam@kfu.edu.sa